القدس وسيناء فى القرآن

أى معانٍ وأى خواطر وأى مشاعر ، تثور فى قلب الإنسان حينما يلفظ أو يسمع كلمة « القدس » .

إنها الكلمة التى لو جردناها من كل ذكرياتها ، وتاريخها وسيرتها ، لبقى لها هذا التذكير بالقداسة والطهارة والكرامة ، فلغة العرب - وهى لغة القرآن المجيد تقول : قدَّس المؤمن ربَّه . أى نزهه عما لا يليق بألوهيته ، والقرآن يقول على لسان الملائكة فى خطاب ربهم تبارك وتعالى : « وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقَدِّسُ لَكَ » (سورة البقرة الآية ٣٠) .

والقدوس : هو المطهر المنزه عن جميع النقائص . والقدس : الطهر . والمكان المقدس : المطهر من أدران الوثنية ونحوها . والأرض المقدسة : هى فلسطين ردها الله على العرب والمسلمين أو الطور وما حوله ، أو الشام كلها . وروح القدس : هو جبريل عليه السلام ، والقرآن يقول : « وآتَيْنا عيسَى بْنَ مَرْيَمَ البَيِّناتِ وأيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُـدُسِ » (البقرة الآية ٨٧) ويقول : « قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحقِّ ، لِيُثَبِّتَ الَّذِين آمَنُوا وَهُدًى وبُشْرَى لِلْمُسْلِمين » (النحل الآية ١٠٢) .

والقدس – أو بيت المقدس – هى عاصمة فلسطين . وبلد المسجد الأقصى ، والقبلة الأولى للمسلمين التى أشار إليها الله تبارك وتعالى فى قوله : « وما جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وإن كانَتْ لَكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ، وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرءوفٌ رَحِيمٌ » (البقرة الآية ١٤٣) . والمسجد الأقصى هو ثالث المساجد التى تشد إليها الرحال بنية العبادة ، فرسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى بالمدينة ، والمسجد الأقصى » .

وقد سمى مسجد القدس بالمسجد الأقصى ، لأنه كان أبعد المساجد التى تزار ويبتغى بها الأجر بالنسبة إلى المسجد الحرام ، أو لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة ، أو لبعده عن الأقذار والخبائث : وقد روى أنه بنى فى أصله بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة .

ولقد تكاثرت الفضائل من حول القدس – بيت المقدس – وحسبها أولا أن مسجدها كان واسطة العقد فى معجزة الإسراء والمعراج ، فكان خاتمة لرحلة الإسراء فى الأرض ، وكان فاتحة لرحلة المعراج إلى السماء ، ثم كان خاتمة لرحلة العودة من المعراج ، وفاتحة لرحلة العودة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وقد نوَّه القرآن المجيد بذلك ، وجعل هذا التنويه فاتحة لسورة سماها باسم المعجزة ، وهى « سورة الإسراء » ، فقال فى طليعتها : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

والآية الكريمة تشير إلى البركة التى جعلها الله من حول هذا المسجد ، وهذه البركة تتمثل فى مجارى الأنهار وفى فيض الثمار ، وبمن دُفن من حوله

خلال عصور التاريخ من الصفوة الأخيار الأبرار . وهناك آية كريمة تشير إلى هذه البركات ، وهى قوله عز من قائل : « وإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حيثُ شِئْتُمْ رَغَداً » (البقرة الآية ٥٨) .

ومن فضائل هذا المسجد أن الصلاة تضاعف فيه مائتين وخمسين مرة ، على أقل الروايات عدداً فى هذه المضاعفة . وأنه يستحب ختم القرآن المجيد به ، ومن الفضائل استحباب المجاورة به للعبادة أو الذكر أو الاعتكاف أو طلب العلم ، ومنها أنه يستحب الصيام فيه ، ومنها أن مَنْ لم يقدر على زيارته . يستحب له أن يهدى إليه زيت للسراج ، أو ما يقوم مقام الزيت لإضاءته .

ومن الفضائل أن السيئات تضاعف فيه ، أى تزداد قبحاً وفحشا ، لأن المعاصى التى ترتكب فى زمان شريف أو مكان شريف تكون أشد جرأة على الله جل جلاله ، ومنها أنه ينبغى للحالف أن يحذر اليمين الفاجرة فيه ، لأن عاقبتها وخيمة ، ومنها أنه يستحب الإحرام بالحج والعمرة منه .

* * *

هذا ، ولقد شاء الله تبارك وتعالى - بمقتضى وعده فى القرآن الكريم أن الأرض لله يرثها عباده الصالحون - أن تفتح القدس أبوابها أمام نور الإسلام فى السنة السادسة عشرة من الهجرة ، حيث افتتحها الصحابى الجليل ، القائد البطل ، أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وطلب أهلُها أن يصالحهم على صلح مدن الشام . وأن يكون المتولى للعقد هو خليفة المسلمين ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاب الخليفة لذلك ، وارتحل إليهم من المدينة ، ولما دنا من القدس قال : لبيك اللهم لبيك ، بما هو أحب إليك .

ثم اتجه الخليفة فى مسيرته إلى محراب داود ليلا ، وصلى فيه . ولما طلع الفجر أمر بالأذان والإقامة ، ثم تقدم فصلى بالناس ، وقرأ جانباً من سورة

« ص » فى الركعة الأولى ، وقرأ فى الركعة الثانية أول سورة الإسراء .

ثم شرع فى تطهير الساحة الطيبة من الكناسة والأقذار التى وضعها الروم فى المكان ، وشاركه الناس فى هذا التطهير .

وكتب الخليفة لأهل القدس كتاب أمان يعد مثلاً فى العدل والسماحة واللين مع الناس ، جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء (القدس) من الأمان ؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها : أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شىء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منها فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصُلبُهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصُلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يُحصد حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو

ابن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة » .

* * *

هكذا كانت القدس – وما زالت – صاحبة مكانة ومنزلة في تاريخ الإسلام منذ القدم ، وفي نفوس المسلمين في الأمس البعيد ، والحاضر القائم ، وإلى ما شاء الله . ولكن اليهود يفترون ويزعمون فيما يشرون أن عناية المسلمين بالقدس (وهي بيت المقدس) لم تظهر إلا أخيراً ، بعد التنافس والصراع بين المسلمين واليهود في فلسطين – ردها الله على العرب والمسلمين – وهذا تزوير للتاريخ ، فالمسلمون يعنون بالقدس وبفلسطين كلها منذ بزغت شمس الإسلام.

والقدس عند المسلمين - منذ أربعة عشر قرناً – فيها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ولقد ظل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، والمسلمون من ورائه . يتجهون في صلواتهم إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس (وهو القدس) سبعة عشر شهراً تقريباً . وصارت للقدس مكانة جليلة في نظر المسلمين ، لأن فيها المسجد الأقصى ، وهو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن المجيد على التصريح باسمهما ، وهما المسجد الحرام وفيه الكعبة ، والمسجد الأقصى ، وإليه كان إسراء الرسول ، ومنه كان معراجه ، صلوات الله وسلامه عليه .

وألقى الإسلام رداء الهيبة والكرامة على القدس ، فجاء في كتب السنة : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » ويُقصد بهذا - طبعاً – من مات على الإسلام طائعاً الله ورسوله . وكذلك جاء : « من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غُفر له ما تقدم من ذنبه » . وهذا – طبعاً – عند توافر التوبة النصوح مع الإخلاص .

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة » . وقصة الإسراء تقص علينا أن رسول الله محمداً قد صلى إماماً بالأنبياء والمرسلين فى المسجد الأقصى ليلة الإسراء .

ومن مظاهر عناية المسلمين عنايةً قديمةً موصولة بالقدس وبالمسجد الأقصى وبفلسطين كلها ، هذه الكتب والمؤلفات الضخمة التى ألفها علماء الإسلام ومؤرخوه منذ قرون فى فضائل القدس والمسجد الأقصى ، ومنها :

١ فضائل القدس : لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م .

٢ الأنس فى فضائل القدس : لابن هبة الله الشافعى ، من رجال القرن السابع الهجرى .

٣ مثير الغرام بفضائل القدس والشام : لابن سرور المقدسى المتوفى سنة ٧٦٥ هـ - ١٣٦٣ م .

٤ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : لمجير الدين الحنبلى القاضى المتوفى سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ م .

٥ - الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى : لابن عساكر المتوفى سنة ٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م .

٦ - فضائل القدس : للشريف عز الدين حمزة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م .

٧ - باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس ، لابن قاضى الصلت المتوفى سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م .

* * *

هذا شىء من الحديث عن مكانة القدس فى نظر القرآن والإسلام .

ثم يأتى حديث عن ميناء ..

obeikandl.com

كلمة « سيناء » – بكسر السين وقد تفتح – وقد تضاف إليها كلمة « الطور » . فيقال : طور سيناء ، كما جاء فى قول القرآن : « وشجرةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ وصِبْغٍ للآكِلِينَ » (سورة المؤمنون الآية ٢٠)

وقد يقال لهذا المكان « سينين » ، كما جاء فى قول القرآن : « والتِّينِ وَالزَّيْتونِ ، وَطُورِ سِينِينَ » (سورة التين ١ ، ٢) وسيناء هى صحراء سيناء الواقعة فى جنوب فلسطين . وفيها الوادى المقدس الذى قال عنه القرآن فى سورة طه مخاطباً موسى : « إنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » (سورة طه الآية ١٢) . وهكذا أمره الله أن يخلع نعليه تعظيما للبقعة ، لأنها الوادى المقدس المسمى « طوى » . وفى سورة النازعات يقول : « إذْ نَادَاهُ رَبُّه بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » (الآية ١٦) .

وفى سيناء يوجد الوادى الأيمن والبقعة المباركة ، فذلك حيث يقول القرآن الكريم فى سورة القصص : « فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً ، قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إنِّى آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا آتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ، أَنْ يا مُوسَى إنِّى أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (الآيتان ٢٩ ، ٣٠) .

وفى سيناء يوجد « الطور » وهو الجبل الموجود فيها ، وقد تكرر ذكر هذا الطور فى آيات من القرآن المجيد ، ومن ذلك قول الله تعالى فى سورة مريم : « وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا » (الآية ٥٢) . وتشير هذه الآية إلى أن موسى عليه السلام شاهد – وهو فى طريق عودته بزوجته إلى وطنه – شاهد ناراً من الجانب الأيمن لجبل الطور فى سيناء ، وهناك ناداه الله جل جلاله ، وقرَّبه من حماه وناجاه . ورُوى أن الله تعالى أوحى إليه :

« يا موسى ، إذا خلقت لك قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة تعين على الخير ، فلم أحزن عنك من الخير شيئاً ، ومن أحزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً » .

ويقول القرآن أيضاً فى سورة البقرة : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ورفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ واذْكُروا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ثمَّ تَوَلَّيْتُم مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الخاسِرِينَ » . (الآيتان ٦٣ ، ٦٤) .

والميثاق هنا هو – كما قال أهل التفسير – العهد الفطرى الذى يجعل العقول بعد الرشد قابلةً لإدراك السنن الإلهية فى الخلق ، وهو العهد الموثق بالعهد الدينى ، وهو ما أيد الله به الأنبياء من الآيات البينات ، والأحكام المحكمات ، فمن أنكر بعثة الأنبياء ، ولم يهتد بهديهم ، فهو ناقض لعهد الله ، فاسق عن سنته ، وهذا ما ارتكبه اليهود .

وقد أراهم الله جل جلاله آية تقوى الإيمان عند العقلاء ، وهى نَتْق الجبل – جبل الطور – ونزعه ليحرك فيهم الشعور ، حتى يتمسكوا بأوامر الله بقوة ، ويحافظوا على العمل بها ، لأن العمل سند العلم ، ولذلك قال الإمام على رضى الله عنه : « يهتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل » .

ويشير القرآن بذلك إلى أن الله سبحانه قد أخذ على بنى إسرائيل المواثيق والعهود للإيمان به وحده لا شريك له ، واتباع رسله ، ورفع فوقهم الطور إرهاباً وتهديداً . لكى يقروا بما عوهدوا عليه ، وينفذوا أوامره بامتثال واجتهاد ، وكأنه هددهم بإسقاط الجبل فوقهم إن ظلوا على بهتانهم .

وعلى الرغم من هذا الميثاق المؤكد العظيم تولى هؤلاء وأعرضوا ، وخانوا ونقضوا ، ولولا أن الله جل جلاله صاحب فضل ورحمة ، فأرسل إليهم الرسل ،

وقبل من تائبيهم توبتهم ، لكانوا ممن خسروا الدنيا والآخرة معاً .

ويعود القرآن إلى تسجيل العصيان والكفران من هؤلاء عند رفع الطور ، فيقول فى سورة البقرة : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ، وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ، خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا . قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا . وَأُشْرِبُوا فى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (الآية ٩٣) .

ويعود القرآن مرة أخرى ، فيقول فى سورة النساء : « وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً ، وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فى السَّبْتِ . وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً » (الآية ١٥٤) . فيؤكد القرآن هنا جرائم هؤلاء بتكرار حديثه عن رفع الطور فى سيناء فوقهم تهديداً ووعيداً ، حتى جعلوا ينظرون إليه ، خائفين أن يقع عليهم ، وأن يسقط فوقهم فيسحقهم ، ومع ذلك عادوا فغدروا وخانوا ، وأمرهم الله أن يدخلوا بيت المقدس ساجدين خاضعين قائلين : اللهم حط عنا ذنوبنا ، ولكنهم عاندوا ودخلوا زاحفين على أستاههم ، مجاهرين بالتحريف قائلين غير ذلك ، وأمرهم الله ألا يعملوا فى يوم السبت ، وأخذ عليهم بذلك ميثاقاً غليظاً شديداً ، ولكنهم خالفوا وعملوا يوم السبت .

ويقول الكتاب العزيز فى سورة طه : « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى » (الآيتان ٨٠ ، ٨١) ولكنهم مع الأسف قد طغوا فحل عليهم غضب الجبار ، وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « نحن أولى بموسى منهم » .

وقد أشار القرآن فى سورة المؤمنون إلى بعض خيرات سيناء حين قال : وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ » (الآية ٢٠) .

يشير إلى شجرة الزيتون المباركة الكثيرة المنافع والفوائد ، وهى تنبت وفيها الدهن ، أى الزيت الذى يعصر ، وهو المفيد للآكلين . وقد أضاف شجرة الزيتون إلى سيناء لأنها ظهرت فيها ، وتشعبت منها فى البلاد وانتشرت ، وكثرت فى هذا المكان ، وقد أشار الكتاب العزيز مرة أخرى إلى هذه الشجرة فى قوله تعالى : « اللهُ نُورُ السَّمٰوات وَالْأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » (النور الآية ٣٥) . وهنا وصف القرآن هذه الشجرة فى سيناء بأنها شجرة مباركة ، وصرح بأنها شجرة الزيتون ، وقد قيل إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان .

وعاد القرآن الكريم فى سورة « التين » ، فذكر « طور سينين » ، وهو جبل طور سيناء ، وجعله أحد أشياء أربعة أقسم بها الحق جل جلاله . تنويهاً بشأنها وتذكيراً بمكانتها ، فقال فى مفتتح السورة : « وَالتِّينِ ، وَالزَّيْتُونِ ، وطُورِ سِينِينَ ، وَهَٰذَا الْبَلَدِ الأمينِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » .

وقد ذكر الأستاذ الإمام محمد عبده فى « تفسير جزء عم » الأقوال الواردة فى معنى « التين والزيتون » ، ومن بينها أنهما الشجرتان المعروفتان باسم التين والزيتون ، لكثرة فوائدهما ، ثم قال : « ولكن تبقى المناسبة بينهما وبين طور سينين « والبلد الأمين ، وحكمة جمعهما معاً فى نسق واحد غير مفهومة ، ولهذا رجح أنهما موضعان .

وقد يرجح أنهما النوعان من الشجر ، ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا ، بل لما يذكران به من الحوادث العظيمة التى لها الآثار الباقية فى أحوال البشر .

قال صاحب هذا القول : إن الله تعالى أراد أن يذكرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسان الطويل ، من أول نشأته إلى يوم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتين إشارة إلى عهد الإنسان الأول ، فإنه كان يستظل فى تلك الجنة التى كان فيها بورق التين ، وعندما بدت له ولزوجته سوآتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق التين .

والزيتون إشارة إلى عهد نوح عليه السلام وذريته ، وذلك لأنه بعد أن فسد البشر ، وأهلك الله من أهلك منه بالطوفان ، ونجّى نوحاً فى سفينته ، واستقرت السفينة نظر نوح إلى ما حوله ، فرأى المياه لا تزال تغطى وجه الأرض ، فأرسل بعض الطيور لعله يأتى إليه بخبر انكشاف الماء عن بعض الأرض ، فغاب ولم يأت بخبر . فأرسل طيراً آخر . فرجع إليه يحمل ورقة من شجر الزيتون ، فاستبشر وسر ، وعرف أن غضب الله قد سكن ، وقد أذن للأرض أن تعمر .

ثم كان منه ومن أولاده تجديد القبائل البشرية العظيمة فى الأرض التى محى عمرانها بالطوفان ، فعبر عن ذلك الزمن بزمن الزيتون . والقسم هنا بالزيتون للتذكير بتلك الحادثة ، وهى من أكبر ما يذكر به من الحوادث .

وطور سينين إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية ، وظهور نور التوحيد فى العالم ، بعد ما تدنست جوانب الأرض بالوثنية ، وقد استمر الأنبياء بعد موسى يدعون قومهم إلى التمسك بتلك الشريعة ، إلى أن كان آخرهم عيسى صلى الله عليه وسلم ، جاء مخلصاً لروحها مما عرض عليه من البدع .

ثم طال الأمد على قومه ، فأصابهم ما أصاب من قبلهم ، من الاختلاف فى الدين ، وحجب نوره بالبدع ، وإخفاء معناه بالتأويل ، وإحداث ما ليس منه بسبيل ، فمنّ الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميع تلك التواريخ ،

ويفصل بين ما سبق من أطوار الإنسانية وبين ما يلحق ، وهو عهد ظهور النور المحمدى من مكة المكرمة ، وإليه أشار بذكر البلد الأمين » .

* * *

أيها العربى حيثما كنت ...

أيها المسلم حيثما أقمت ...

تذكر ولا تنس .. تذكر أنها « القدس » القبلة الأولى والحرم الثالث فى تراث الإسلام وتاريخ المسلمين ، وأنها مسرى نبيك ورسولك عليه الصلاة والسلام ... تذكر أن مواريث النبوات والرسالات قد انتهت إلى يد محمد عليه الصلاة والسلام ، لتكون أمانة عزيزة غالية فى أيدى أتباعه إلى ما شاء الله ، يجعلونها حرماً آمناً قائماً بالحق والعدل .

تذكر ولا تنس ... تذكر أنها « سيناء » التى تشهد كل حبة من رمالها أن العروبة المؤمنة لن تنام عن حقها فى التحرير والتعمير ، مهما طال المدى فى تقدير الإنسان ... إنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً ، وما ذلك على الله بعزيز .